الشعر في العصر الأموي

مدونة المناهج السعودية

الأدب الأموي

يُعدُّ العصر الأمويُّ واحدًا من أكثر عصور الأدب العربي ازدهارًا في نتاجِه الشعريّ؛ فقد بلغ الأدب العربي أوجهُ في هذا العصر، واحتضنته بيئات جديدة غير بيئة الجزيرة العربية، ممّا جعل هذا الأدب يتلوّن بألوان هذه البيئات ويتأثّر بها، فقد كان لكلٍّ من بيئات الشام وخراسان والعراق ومصر والأندلس والمغرب الأثرُ القويّ في تطوّر الحياة الفكرية والأدبيّة والاجتماعية، ولعلّ من أبرز المؤثرات الاجتماعية ظهور طبقة الموالي الذين شاركوا في الحياة الأدبية، حيث ظهر منهم الكتاب والشعراء والخطباء، بالإضافة إلى اهتمام البلاط الأموي بهم، وفي هذا المقال سيتم الحديث أكثر عن الشعر في العصر الأموي.

الشعر في العصر الأموي

أجمع المُؤرّخون بأنّ الشعر في العصر الأموي كان صقلًا للآداب الجاهلية، وولادة الأدب في العصر الإسلامي، حيث بقيت الأغراض الشعرية التي وُجدت في العصر الجاهلي وصدر الإسلام نفسها في العصر الأموي، إلّا أنّ الجدير بالذكر ظهور لون جديد من الشعر لا عهد للعرب به من قبل إلى جانب ألوان الشعر المتعارف عليها في ذلك الوقت، وهو الشعر السياسي، وذلك بفعل الأحزاب السياسية التي اتّخذت لها شعراء ناطقين بلسانهم، حتى كاد الطابع السياسي يغلب على الشعر من جراء هذا الصراع، وقد عُني الشعراء في العصر الأموي بتنقيح شعرهم وتهذيبه والعناية أيضًا بالبناء الفني لقصائدهم، غير أنّهُ في جُلّه يخلو غالبًا من الصدق؛ لأنّ الدافع إلى قوله كان الرغبة في العطاء، وقد شهد الشعر في العصر الأموي ازدهار فن آخر من الفنون الشعرية وهو الشعر الغزلي، الذي بدأ وتفتّحت براعمه في العصر الإسلامي، حيث توفرت جُملة من الأسباب والدواعي لازدهار هذا الفن الشعري بأنواعه الثلاثة؛ وهي الحضري والبدوي والنسيب، ولا عجب في انصراف شعراء الغزل إلى اللهو وسماع الغناء بالإضافة إلى التعرّض للنساء، فافتنوا في شعرهم افتتانًا ارتقى بالشعر الغزلي إلى مرتبة رفيعة لم يصل إليها ويبلغها الشعر العربي من قبل، وكان رائد هذا اللون من الشعر الشاعر القرشي عمر بن أبي ربيعة، إضافةً إلى شعراء النقائض والطبيعة والزهد وغيرهم.

خصائص الشعر في العصر الأموي

لقد اعتنى الشعراء بالشعر في العصر الأموي بتجويد شعرهم وأكبّوا على العناية به، حيث قاموا باتخاذه حرفةً يتكسّبون بها، فراحوا يتنافسون في تنقيح شعرهم بغية إرضاء الممدوحين

والنقّاد، وكان لهم الفضل الكبير في الاتجاه بالقصيدة العربية نحو شكلها الفني المكتمل، سواء من حيث متانة أسلوبها، وإتقان صياغتها أم من حيث بنائها الفني فيها، وقد حرص الشعراء على استهلال قصائدهم بالوقوف على الأطلال ثمّ التخلص من الأطلال بالانتقال إلى النّسيب، حيث كانوا يطيلون فيها تارة، ويوجزون تارة أخرى، فيصفون ما يريدونه في القصيدة ثم ينهون القصيدة بالمديح من خلال ذكر مناقب الممدوح، فإذا ما فرغوا من المديح طلبوا من الممدوح أن يبسط كفه لهم، وربما جنح بعضهم إلى المبالغة والإلحاح في الاستعطاء، وعلى نحو ما لوحظ في هذا الشعر، فقد تصدى الباحثون لتقويمه من الناحية الفنية فرأى معظمهم أن هذا الاتجاه قد أضرّ بالشعر العربي، وانحرف به عن مساره الصحيح؛ لأنّ الشعر ينبغي أن يكون صادق العاطفة بعيدًا عن الكذب والنفاق والزيف، ومِن الباحثين مَن رأى أنّ الشعر في العصر الأموي تميّز بابتكار معانيه، ومتانة أسلوبه وحسن صياغته.

أغراض الشعر الأموي

تميّز الشعر في العصر الأموي باحتوائه على العديد من الأغراض الشعرية، بالإضافة إلى استحداث أغراض جديدة، ويُلاحظ في هذا العصر شيوع الترف والغنى بسبب اتساع الدولة للمسلمين ممّا أدى إلى إلى استقرار الناس في البلاد التي فُتحت، فأثر ذلك على الشعر وعلى أغراضه التي قيل فيها، وفيما يأتي بيان لأهم الأغراض الشعرية التي احتوى عليها الشعر في العصر الأموي:

شعر المديح: أكثر الشعراء من نظم الشعر الخاص بالمدح بهدف نيل العطايا أو طلب العفو، ولم يقتصر المدح على الولاة فحسب بل تعداه إلى نوابهم مثل أبناء القادة.

شعر الهجاء: ازدهر الهجاء في الشعر في العصر الأموي؛ وذلك بسبب تأثير العصبيات القبلية التي اشتعلت نيرانها، بالإضافة إلى كثرة الفرق والأحزاب الإسلامية، فكان الهجاء في الجاهلية يقوم على التنديد بالرذائل.

شعر الغزل: تميز الشعر في العصر الأموي بالغزل العذري، ومن أبرز روّاد شعر الغزل عمر بن أبي ربيعة وقيس بن الملوح.

شعر الزهد: ويسند هذا النوع من الشعر إلى الحثّ على الدعوة إلى التقوى والعمل الصالح، وقد انتشر هذا الغرض الشعري في معظمم الشعر في العصر الاموي.

شعر الطبيعة: في هذا العصر لم يهمل الشعراء الطبيعة التي ورثوها عم أجدادهم في الصحراء، والواحات، والنخيل، فقام الشعراء بوصف ما يجدونه من مناظر طبيعية في البلدان المفتوحة، مُدنها وأنهارها وجمالها وثمارها.

شواهد من الشعر الأموي

بعد الحديث حول الأغراض الشعرية التي تميّز بها الشعر في العصر الأموي، لا بُدّ من ذكر أبرز وأهمّ رواد الشعر في ذلك العصر، حيث أبدع عدد لا بأس به من الشعراء في نظم الشعر بمختلف الأغراض الشعرية، وفيما يلي سيتمّ ذكر بعض هؤلاء الشعراء مع أجمل قصائدهم:

من أجمل ما قاله عمر بن أبي ربيعة ما يأتي:

صرمتْ حبلكَ البغومُ، وصدتْ

عَنْكَ، في غَيْرِ رِيبَة، أَسْمَاءُ
وَكلْغَواني إذا رأَيْنَكَ كَهْلًا

كانَ فيهنّ عن هواكَ التواء
حبذا أنتِ يا بغومُ وأسما

ءُ، وعِيصٌ يَكُنُّنا وَخَلاءُ
وَلَقَدْ قُلْتُ لَيْلَة الجَزْلِ لَمّا

أَخْضَلَتْ رَيْطَتي عَلَيَّ السَّماءُ
من أجمل ما قاله الأخطل ما يأتي:
أجريرُ إنّك والذي تَسْمو لَهُ

كأسيفَةٍ فَخَرتْ بحَدْجِ حَصانِ
حملتْ لربتها، فلما عوليتْ

نسلتْ تعارضها مع الأضغان

أتَعُدُّ مأثُرةً لغَيْرِكَ ذكْرُها

وسناؤها في غابرِ الأزمانِ
في دارِمٍ تاجُ المُلُوكِ وصِهْرُها

أيامَ يربوعٌ مع الرعيانِ
من أجمل ما قاله الفرزدق ما يأتي:
إذا لاقَى بَنُو مَرْوَانَ سَلّوا،

لِدِينِ الله، أسْيَافًا غِضَابَا
صَوارِمَ تَمْنَعُ الإسْلامَ مِنْهُمْ،

يُوَكَّلُ وقْعُهُنّ بِمَنْ أرَابَا
بِهِنّ لَقُوا بِمَكّةَ مُلْحِدِيها،

وَمَسكِنَ يُحسِنونَ بها الضِّرَابَا
فَلَمْ يَتْرُكْنَ مِنَ أحَدٍ يُصَلّي

وَرَاءَ مُكَذِّبٍ إلاّ أنَابَا

من أجمل ما قاله قيس بن الملوح ما يأتي:

تُبَاكِرُ أمْ تَرُوحُ غدًا رَوَاحا

وَلَنْ يَسْطِيعَ مُرْتَهَنٌ بَرَاحَا

سقيمٌ لا يُصَابُ له دواءٌ

أصَابَ الُحبُّ مُقْتَلَهُ فَنَاحَا

وعذَّبهُ الهوَى حتَّى بَرَاهُ

كَبَرْيِ القَيْنِ بالسَّفنِ القداحَا

فَكَادَ يُذِيقُهُ جُرَعَ المَنَايَا

وَلَوْ سَقّاهُ ذلِكَ لاسْتَرَاحَا

من أجمل ما نظمه جرير ما يأتي:

لَوْلا ابنُ حَكّامِ وَأشْرَافَ قَوْمِهِ،

لشقَّ على سعدْ بن قيسٍ حنينها

أما خفتني يا حنبُ إذْ بتَّ لاعبًا

و باتتْ لقاحي ما تجفُّ عيونـها

فَيا جَنبُ قد أسلَفتَ في الحَزْنِ دِينـةً

عَسَتْ تُقتَضَى من أُمّ جَنبٍ ديونُـهَا

وَأقْرَضْتَ قَرْضًا سوْفَ تُجزَى بمثْله

وحربتَ أسدًا ما يرامُ عرينـها

مدونة المناهج السعودية